شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري

أ.م. د يسرى خلف حسين كلية التربية ابن رشد/ جامعة بغداد

الملخص

يتناول هذا البحث شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري، التي تعدُّ واحدة من أبرز نماذج فن المقامة في التراث العربي. يهدف البحث إلى استكشاف جماليات هذه التفاصيل ودورها في بناء النص المقامي وتكوين دلالاته. يقوم البحث بتحليل الأساليب الفنية التي استخدمها الحريري لرصد التفاصيل اليومية في واقع مجتمعه خلال عصره، مسلطًا الضوء على القيم الجمالية والفنية التي تحملها هذه التفاصيل، والتي تتجاوز الوصف السطحي لتخلق أبعادًا دلالية وجمالية غنية. كما يركز البحث على دراسة العلاقة بين هذه التفاصيل اليومية وبنية المقامة بشكل عام، وكيف ساهمت في تشكيل الهوية الأسلوبية الفريدة للمقامات الحريرية. يستند البحث إلى المنهج التحليلي، الذي يمزج بين التحليل النصي وتقنيات الدرس البلاغي التقليدي، للكشف عن شعرية التفاصيل اليومية وأبعادها الدلالية والجمالية في مقامات الحريري.

الكلمات المفتاحية: مقامات الحريري، التفاصيل اليومية، شعرية السرد، الحياة الاجتماعية، البلاغة العربية، جماليات النثر.

The Poetics of Everyday Details in Al-Hariri's Maqamat

Assistant Professor Dr. Yusra Khalaf Hussein
Ibn Rushd College of Education, University of Baghdad

Abstract

This study explores the poetics of everyday details in the Maqamat of al-Hariri, one of the most prominent examples of the maqama genre in Arabic literary heritage. The research aims to examine the aesthetics of these details and their role in constructing the maqama text and shaping its meanings. It analyzes the artistic techniques employed by al-Hariri to capture the everyday aspects of his society during his time, highlighting the aesthetic and artistic values embodied in these details, which go beyond surface description to create rich semantic and aesthetic dimensions. The study also focuses on the relationship between these everyday details and the overall structure of the maqama, and how they contributed to shaping the unique stylistic identity of al-Hariri's maqamat. The research adopts an analytical approach, combining textual analysis with traditional rhetorical methods to uncover the poetics of everyday details and their semantic and aesthetic implications in al-Hariri's maqamat.

Keywords: Al-Hariri's Maqamat, everyday details, narrative poetics, social life, Arabic rhetoric, aesthetics of prose.

المقدمة

تُعد مقامات الحريري (446هـ - 516هـ) من أبرز المحطات في تطور النثر الفني في التراث العربي؛ إذ تجاوزت حدود التسلية والوعظ إلى فضاء التعبير الجمالي عن الحياة الاجتماعية، والواقع اليومي للناس. وقد تميزت هذه المقامات ببنية لغوية محكمة، وحس سردي فريد، إضافةً إلى قدرتها على التقاط جزئيات الواقع وتحويلها إلى مكونات فنية بالغة الحيوية. من هنا ينبثق اهتمام هذا البحث بما يمكن أن نُطلق عليه "شعرية التفاصيل اليومية" في هذه المقامات، بوصفها أحد الأبعاد الجمالية التي لم تُفرد لها دراسات كافية مستقلة.

تكمن إشكالية البحث في التساؤل التالي: كيف تتحول التفاصيل اليومية البسيطة في مقامات الحريري إلى عناصر شعرية تساهم في بناء الدلالة وتكثيف الأبعاد الجمالية للنص؟ وهل هي مجرد أدوات وصفية، أم أنها بنية فنية ذات وظيفة سردية وجمالية عميقة؟

ينطلق هذا البحث من فرضية أنّ التفاصيل اليومية، كما تظهر في مقامات الحريري، ليست مجرد زخارف لغوية أو مشاهد هامشية، بل هي نواة سردية تكشف عن منظور الكاتب إلى المجتمع واللغة والواقع، وتمثل في الوقت نفسه استراتيجية بلاغية واعية تُضفي على النص عمقًا رمزيًا وطبقات دلالية متراكبة. ويهدف البحث إلى: تحليل حضور التفاصيل اليومية في المقامات. الكشف عن البُعد الشعري الكامن خلف هذا الحضور، ربط هذه التفاصيل بالسياق البلاغي والاجتماعي والفني العام للمقامة.

وتبرز أهمية البحث في كونه يسلّط الضوء على جانب مُهمل نسبيًا في تحليل المقامة، وهو البعد الجمالي للتفاصيل اليومية، في مقابل الدراسات

التي ركّزت على الفصاحة أو الجانب التعليمي للمقامة فحسب. يستند البحث إلى المنهج التحليلي، الذي يمزج بين التحليل النصي وتقنيات الدرس البلاغي التقليدي، للكشف عن شعرية التفاصيل اليومية وأبعادها الدلالية والجمالية في مقامات الحريري، كما يستأنس ببعض المفاهيم من نظرية الشعرية الحديثة (تودوروف، ياكبسون، كوهين) لتوسيع زاوية النظر إلى مفهوم "الشعرية". وبالرغم من تعدد الدراسات حول المقامات، كدراسات مصطفى الشكعة ومارون عبود وعبد الملك مرتضى وغيرهم، وعلى رأسهم عبد الفتاح كيليطو، فإنها لم تفرد تفصيلًا وافياً لمفهوم شعرية اليومي، مما يجعل هذا البحث إضافة نوعية في هذا السياق. يتوزع البحث على ثلاثة مطالب رئيسة، تتناول أنواع المقامات ذات الطابع الحضري، والتجاري، والديني، بوصفها حوامل أساسية لشعرية التفاصيل اليومية، مع خاتمة تُلخّص أبرز النتائج وتقدم آفاقًا بحثية مستقبلية. اخترت التركيز على المقامات التالية (البصرية، الدمياطية، الدينارية، النجرانية، المكية، الحلوانية، الصنعانية، الكوفية، الحلبية، الدمشقية، البغدادية) من بين خمسين مقامة لأن هذه النماذج تمثل بجلاء الطابع الحضري، والتجاري، والديني، وهي الحقول التي تبرز فيها شعرية التفاصيل اليومية على نحو أوضح وأكثر تكثيفًا.

التمهيد

اولًا: سيرة الحريري

هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (الحموي، 1999: 195/6)، (ابن خلكان، 64/4). وُلد ونشأ في قرية قريبة من البصرة تُدعى المشان في سنة 446 للهجرة، ثم انتقل للسكن في البصرة في محلة بني حرام. كان يتمتع بذكاء وفطنة استثنائية، وقد ارتبط بأبرز علماء عصره، وتلقى عنهم تعاليم الفقه والحديث واللغة والأدب. مما أهله لامتلاك مهارات فصيحة وقدرة بارعة في البلاغة.

ويُروى أنه كان يعيش وسط الرفاهية في البصرة، إذ كان يمتلك في قريته المشان ثمانية عشر ألف نخلة. كما كان يحظى بمكانة مرموقة ونفوذ، إذ كان يعد من رجال الخير في البصرة، وكان ينقل أخبار الناس والجيش والإدارة إلى الخليفة. قضى حياته متنقلًا بين المشان والبصرة وبغداد، حريصًا على حضور مجالس العلم والأدب، حيث كان يحظى بإعجاب الآخرين وثناء الألسنة لما يقدم من أشعار وأدب، فضلا عمّا يقدمه من معارف دقيقة وعلوم متنوعة.

كان الحريري يميل إلى الإحساس المرهف وصادق الحس والحكمة. يُروى أنّ شخصًا غريبًا زاره بغرض التعلم منه، وعندما رآه، استهجن مظهره، ففهم الحريري ذلك، وعندما طلب منه أن يملي عليه شيئًا، رد عليه قائلًا:

ما أنت أول سارٍ غَرَّه قمرٌورائدٍ أعجبَتْه خُضرَة الدِّمَنِ

فاختر لنفسك غيري إنني رجلٌ مثل المُعَيْدِيّ، فاسمع بي ولا تَرَنِي

فشعر الرجل بالخجل وانصرف (ابن خلكان، 66/4-67)، (ابن عماد، 1986: 85/6).

ثانيًا: نشأة فن المقامات وتطوره

فن المقامات هو نوع أدبي يجمع بين الأدب والحكاية. أصلًا، تعني كلمة "مقامة" المجلس أو الاجتماع بين الناس. ومع مرور الوقت، أصبح هذا المصطلح يُستخدم للإشارة إلى حكاية تُروى في تجمع عام. تمثل المقامات قصصًا قصيرة تسرد مغامرات أديب بارع يقوم بإظهار فصاحته وبلاغته الأدبية، مستخدمًا ذلك في إيقاع المكافآت والعطايا من الناس، وينتقل من بلد لآخر ممارسًا مختلف حيله وألاعيبه. ومصاحبًا لهذا الأديب، يوجد راوية يروى للجماهير هذه المواقف ويرصد أحداثها.

يعد بديع الزمان الهمذاني هو أول من أسس فن المقامات، حيث أبدع مقاماته الشهيرة (القلقشندي 1987: 124/14)، واختار شخصية أبي الفتح الإسكندري بطلًا لها، بينما كان راويها عيسى بن هشام، وكلاهما من خيال مؤلفه. كان الهدف من تأليفه للمقامات تعليم اللغة للأجيال الناشئة، مستخدمًا أسلوب الفكاهة الجذاب لإضفاء المتعة على التعلم.

تميزت مقاماته بابتكار قصص تعكس ما يثير رغبات الناس، تحتوي على ألفاظ جمالية وسجع متكامل يخطف الأنفاس، ممزوج بالحكمة والخفة لجذب القلوب (الثعالبي، 1983: 294/4).

انتشرت مقامات الهمذاني بسرعة في العالم الإسلامي ونالت استحسان العلماء. وقد حاول بعض الأدباء تقليدها للحصول على شهرتها. ومع ذلك، كانت تلك المحاولات متواضعة حتى ظهور الحريري (ت 516هـ) الذي أنشأ مقاماته الخمسين الشهيرة، التي تميزت بالجمال الفني، مما أضاف إليها قيمة فنية عالية، ولقت اهتمامًا واسعًا من قبل جميع فئات الناس، حتى صارت مقامات الهمذاني تُعتبر أقل شهرة (القلقشندي، 1987، 125/14).

أشار الحريري في مقدمة مقاماته إلى تأثره ببديع الزمان الهمذاني، معترفًا بفضله في هذا الفن، حيث قال: "هذا مع اعترافي بأن البديع - رحمه الله - سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أُولي بلاغة قدامة، لا يعترف إلا من فضالته، ولا يسري ذلك الميسرى إلا بدلالته" (الحريري، 7)، (الشريشي، 1998: 32/1). تعكس هذه العبارة تواضع الحريري وتقديره العميق للهمذاني، رغم أنه في المقامة السابعة والأربعين، أقر لنفسه بالسبق على بديع الزمان، وذلك على لسان بطله السروجي، حيث قال: "إن يكن الإسكندري قبلي فالطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل" (الحريري:555)، (الشريشي، 1998: 33).

يجمع العلماء على أن الحريري قد بلغ في فن المقامات مستوى رفيعًا لا يمكن مجاراته، وارتقى إلى مكانة تفوق قدرات السابقين (الحموي، 1999: 6/ 195)، كما يرى البعض أن لديه موهبة فريدة جعلته يجسد هذا الفن بشكل استثنائي. وفقًا لما رواه ياقوت الحموي، شهدت تلك المكانة العالية للحريري، حيث يذكر: "ومن عجيب ما رأيته وشاهدته أني وردت آمد، في سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة، وأنا في عنفوان الشباب، فبلغني أنَّ بها علي بن الحسن بن عنتر، المعروف بالشميم الحلي (ت 601هـ)، وكان له علم غزير، لكنه لم يكن يولي أي اعتراف لمسؤولية أحد من أهل الفضل، سواء من المتقدمين أو المتأخرين. وعندما حضرته، كنت أسمع منه ازدراءً لأولئك الذين لهم فضل في العلوم..." (الحموي، 1999: 6/199-200).

يستمر الشميم الحلي في سرد كيف لم يستطع الاعتراف بمكانة غيره، ولكنه أشار إلى الحريري كأحد الثلاثة الذين يستحقون الشهادة، وكان اعترافه بمكانة الحريري يمثل نقطة ضوء في حديثه.

بعد الحريري، ظهر أدباء آخرون مثل السرقسطي (ت 553هـ)، والزمخشري (ت 538هـ)، والسيوطي (ت 911هـ)، الذين قاموا بمحاكاة أسلوب المقامات التي أنشأها الحريري، دون أن يصلوا لمستوى الكمال الذي بلغه. ومع ذلك، يُعد الحريري الأكثر شهرة واتقانًا في هذا المجال.

ولم يقتصر تأثير المقامات على العالم الإسلامي فقط، بل انتقلت عبر الأندلس إلى أوروبا، مما أثرى الأدب الإسباني بشكل واضح. وقد تطور نوع من الفن القصصي في القرن السادس عشر يُعرف بالأقاصيص البيكارسية، التي تصف حياة المشردين والمتسولين، وتعتمد على أساليب مشابهة لتلك المستخدمة في المقامات، حيث يتناول أبطالها حياتهم وحيلهم (ضيف، 1994: 526).

ثالثًا: تعريف شعرية التفاصيل اليومية:

شعرية التفاصيل اليومية هي أسلوب أدبي يعتمد على استحضار المشاهد اليومية والتفاصيل البسيطة التي تشكل جزءًا من الحياة اليومية، لكن يتم معالجتها وتقديمها بطريقة شعرية تحمل معانٍ دلالية تتجاوز الواقع الظاهر. في هذا السياق، لا تقتصر التفاصيل على مجرد وصف للأشياء، بل تتحول إلى رموز تحمل تجارب ومشاعر ومعانٍ فلسفية، مما يسمح للقارئ بتأمل العالم المحيط به بعيون مختلفة. هذه التفاصيل قد تشمل مشاهد طبيعية، مواقف اجتماعية، أو حتى أشياء حياتية عادية، يتم التأكيد عليها بشكل يعكس الجوانب النفسية أو الاجتماعية أو الثقافية في النص الأدبي (فضل، 2001، 13).

تُعد "الشعرية" من المفاهيم المحورية في النقد الأدبي الحديث، وقد تطورت دلاليًا منذ أرسطو إلى منظّري الحداثة، حتى أصبحت تمثل علمًا

يدرس الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية. ويعود أصل الكلمة إلى لفظة Poetica عند أرسطو، حيث ارتبطت في بداياتها بتمييز الشعر عن غيره من أنواع القول، لكنها تطوّرت لاحقًا لتصبح مرادفًا لعلم الأدب ككل. وقد أولى الشكلانيون الروس في أوائل القرن العشرين اهتمامًا خاصًا بالشعرية، وفي مقدمتهم رومان ياكبسون، الذي اعتبرها وظيفة لغوية تركز على "الرسالة من حيث كونها رسالة"، أي على الجانب الجمالي للغة لا الإخباري فحسب (ياكبسون، 1987: 52)، كما أشار إلى أن الشعرية تتحقق حين يحدث انزياح لغوي عن المألوف، فيغدو النص مدهشًا ومغايرًا للتعبير اليومي.

ومن المنظور البنيوي، يرى جون كوهين أن الشعرية "تقوم على مبدأ الانزياح عن اللغة المرجعية"، بحيث يصبح الخطاب الأدبي خطابًا مكثفًا، مغايرًا في الصياغة والتأويل (كوهين، 1986: 35).

وفي السياق العربي الحديث، حاول النقاد تبيئة هذا المفهوم ضمن تراث البلاغة والنقد العربيين، ومن أبرزهم صلاح فضل، الذي عرّف الشعرية بأنها "القدرة الكامنة في البنية اللغوية للنص الأدبي، حين تتجاوز المعنى المباشر لتنتج دلالات وإيحاءات متعدّدة" (فضل، 2001: 35)ويرى أن الشعرية ليست وقفًا على الشعر، بل قد تتحقق في النثر أيضًا، ما دام يحمل التوتر الفني والتكثيف البلاغي، انطلاقًا من هذه المرجعيات.

يُقصد بـ"شعرية التفاصيل اليومية" في هذا البحث: تلك القدرة الفنية التي يمتلكها الكاتب لتحويل عناصر الحياة اليومية – مثل الفقر، الطعام، الأسواق، العادات، اللهجات، المهن، وحتى الطرائف – من مجرد وقائع اجتماعية إلى مشاهد جمالية غنية بالدلالة والرمز. ويتم هذا التحويل عبر

وسائل بلاغية مثل: السجع، التورية، المفارقة، التضمين، الترميز، التناص، والسرد المشهدي.

وفي هذا السياق، تُعد مقامات الحريري نموذجًا متقدّمًا لاستثمار التفاصيل اليومية في سياق فني؛ إذ لم يكتفِ المؤلف بتصوير الحياة كما هي، بل قدّمها في ثوب بلاغي ساخر، متقن الأسلوب، تتضافر فيه تقنيات البلاغة مع أدوات السرد، ما يجعل من "التفاصيل اليومية" مادةً فنية لا تقل شعرية عن التخييل نفسه.

وبذلك، فإن "شعرية التفاصيل اليومية" ليست عنصرًا عارضًا في المقامات، بل تُعد استراتيجية سردية واعية تسهم في بناء النص، وتعكس موقفًا من العالم واللغة والناس، يُقرّب الأدب من الحياة، دون أن ينفي عنه طاقته الجمالية.

شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري

أولا: المقامات ذات الطابع الحضري

المقامة الكوفية

تعكس "المقامة الكوفية" شعرية التفاصيل اليومية من خلال تصويرها لمواقف إنسانية مألوفة (السمر، الجوع، الضيافة، الكذب الأبيض)، ضمن قالب لغوي مشبع بالبيان، مما يمنح اليومي والمعتاد قيمة جمالية تُخرجه من عاديته إلى فضاء الأدب والفن. وتتجلى هذه الشعرية في الآتي: أولًا: مشهد السمر والسهر: يفتتح الراوي المقامة بمشهد مألوف: سمرٌ ليليّ في مدينة الكوفة، تحت قمرٍ فضيّ. يظهر الأنس في جو الحديث وجمال الصحبة: "سمرتُ بالكوفة في ليلة أديمها ذو لونين، وقمرها كتعويذ من لجين...

فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر." (الحريري، 1978: 105، 106، 40).

هذا المشهد يُصوّر طقسًا اجتماعيًا يوميًا، لكنه يُقدّم بلغة تشبيهية تجعل من الصورة اليومية حدثًا شعريًا.

ثانيًا: وصف الضيف الجائع: يطرق البابَ ضيفٌ غريبٌ، يطلب القِرى، في موقف يشيع في البيئات العربية:

قد دفع الليل الذي اكفهرا إلى ذراكم شعثًا مغبرًا
وأمَّكُم دُون الأنامِ طُرّاً يبغي قِرى منكم ومستقرًّا
(الحريري، 1978: 40، 41).

ثم يُصرّ على عدم التكليف: "لا تلمَظتُ بقِراكم، أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كَلًّا، ولا تجشموا لأجلي أكلًا" (الحريري، 1978: 41).

تُظهر هذه العبارات حساسية الضيف تجاه الكلفة، وهو موقف اجتماعي مألوف يرصده الحريري بدقّة، ويمنحه بُعدًا جماليًا.

ثالثًا: الأكل، الأمثال، وسلوك الضيافة: يتخلل المقامة إشارات إلى الطعام وأمثلته اليومية: "وشرُّ الأضياف من سام التكليف... وما قيل في المثل الذي سار سائره: خير العشاء سوافره" (الحريري، 1978: 41)، تُبرز هذه الأمثال كيف أن السلوك اليومي والمعيشة البسيطة تتحوّل إلى قول مأثور، يحفظه الناس ويتناقلونه، وهو من أبرز مظاهر التفاصيل اليومية.

رابعًا: الحيلة والقصّة العجيبة: يتمحور الحدث حول ادّعاء الضيف بأنه التقى ابنه المفقود، ثم يتبيّن لاحقًا أنه يكذب. غير أن الحيلة ذاتها مبنية على شعور إنساني يومي: الحنين، الفقد، والحيلة في طلب المال، التعاطف. "والله ما برة بعرسي، ولا لي ابن به اكتنيت... وإنما لي فنون سحر"

(الحريري، 1978: 46، 47). بهذا، تُظهر المقامة الكوفية غنى التفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الأدبية والإنسانية.

المقامة البغدادية

تتميز المقامة البغدادية بشعرية التفاصيل اليومية بشكل واضح وبارز، حيث تبرز هذه التفاصيل من خلال تصوير حياة المهمّشين والفقراء، خاصة في شخصية "العجوز" التي يتضح لاحقًا أنها أبو زيد متنكرًا. يبدأ العرض الوصفي بتفاصيل دقيقة عن هيئة العجوز وصبيتها، مثل: "أنحف من المغازل" "وصلد الزند" "وضاع اليسار" "بانت المرافق" "لم يبق لنا ثنية ولا ناب" (الحريري، 1978: 46، 47) تعتبر هذه التعبيرات تجسيدًا لواقع الشيخوخة والبؤس، وتستعير من الحياة الجسدية اليومية ما يخدم شكواها بطريقة شعرية موحية.

كما يظهر النص مشاهد مألوفة في المجتمع، مثل مشهد الاستجداء في الأسواق، واللجوء إلى الشعر كوسيلة للرزق، فضلًا عن تكدس الحشود في السوق والتجول بين المساجد. هذه التفاصيل تعكس الحياة اليومية للناس، ويستخدمها الحريري في إطار بلاغي ساخر.

يُلاحظ أيضًا ذكر أدوات ومواضع مألوفة مثل:

- "بمذقة من حازر أو مخيض"
- "سوق مختصة بالأنام"
- "مسجد خال" (الحريري، 1978: 108، 109).

تُجسّد هذه العبارات «شعرية التفاصيل اليومية» في المقامة البغدادية، فالعبارة الأولى ترفع شأن البسيط (طلب جرعة لبن) إلى مستوى الشعر بلغة بدوية دقيقة (حازر، مخيض)، مخلّفة مفارقة بين فصاحة اللفظ ووضاعة

الحاجة. والعبارة الثانية تحوّل السوق العادي إلى فضاء اجتماعي حي بتجسيد جمهوره (مختصة بالأنام)، مما يضفي هالة على حركة الحياة اليومية. أما العبارة الثالثة فتصوغ من "مسجد خالٍ" صورة مكثفة توحي بالغربة والوحدة، محوّلة مكاناً مألوفاً إلى عنصر درامي.

وهكذا، يستخدم الحريري هذه التفاصيل ليس للوصف فحسب، بل لخلق مفارقة ساخرة، وتكثيف المشاعر، وتقديم نقد اجتماعي غير مباشر للفقر والغربة. فاللغة الفخمة تلتقط أدق تفاصيل الحياة لتحويل المألوف إلى فنّي، مؤكدة أن البلاغة لا تنفصل عن واقع الإنسان المعيش.

المقامة الدمشقية

يتضمن نص المقامة الدمشقية تفاصيل يومية تتخلل البنية السردية والفنية، مما يضفي عليها طابعًا شعريًا خاصًا يجمع بين الواقعية والأسلوب الأدبي المتكلف. تُعتبر هذه المقامة من أبرز تجليات "شعرية التفاصيل اليومية".

"شخصتُ من العراق إلى الغوطة، وأنا ذو جرد مربوطة، وجدة مغبوطة، يلهيني خلو الذرع، ويزدهيني حفول الضرع." (الحريري، 1978: 95).

تُمثّل هذه العبارة نموذجًا رفيعًا لشعرية التفاصيل اليومية، حيث يحوّل الحريري رحلة سفر عادية إلى لوحة حسية مفعمة بالحيوية. فهو لا يذكر السفر فقط، بل يصف حالة المسافر الجسدية (جرد مربوطة – دواب مهيأة) والنفسية (جدة مغبوطة – همة عالية) بأسلوب بلاغي مكثف. يبلغ الإبداع ذروته في وصف مصادر اللهو: خلو الدرع (الفراغ من الحرب) وحفول الضرع (امتلاء الضرع باللبن)، وهي تفاصيل بدوية يومية تُصاغ على نحو استعاري لتعبر عن حياة الترف واللهو. وهكذا يتحول الوصف الواقعي البسيط إلى مشهد شعري يعكس التناقض بين حياة اللهو والرغبة في التغيير.

-لحظة الاستفاقة والقرار بالرحيل:

"وقد استفقت من الإغراق، فعادني عيد من تذكار الوطن." (الحريري، 1978: 95).

يشير التعبير إلى الحنين للوطن، واستفاقة الضمير بعد لهو، مما يجعل القرار بالرحيل نتيجة لحالة داخلية ملموسة.

الحيلة الجديدة: "دعاء الحماية":

دعاء طويل يتلوه بصوت خاشع، مليء بالتفاصيل الحياتية:

"اللهم احفظني في نفسي ونفائسي، وعِرضي وعَرَضي، وعَدَدي وعُددي، وسكني ومسكني، وحولي وحالي." (الحريري، 1978: 99).

يجمع هذا الدعاء مفردات الحياة اليومية الخاصة: النفس، المسكن، المال، العدد، والعرض، ويدمجها ضمن شعرية روحية تعكس حاجات الإنسان الواقعية.

وبهذا، تبرز هذه المقامة عملًا أدبيًا غنيًا بالتفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الفنية والإنسانية.

المقامة الحلبية

تظهر المقامة الحلبية من مقامات الحريري بوضوح شعرية التفاصيل اليومية، وتتجلى في عدة جوانب، منها:

تصوير الحياة اليومية والعادات:

تبدأ المقامة بوصف الرحلة إلى حلب وحمص، وتذكر فيها حركات السفر، والتخييم، ونسيم المكان. هذه التفاصيل تصور أنشطة السفر والمقام في المدن كما يعيشها الناس فعليًا.

قوله: "فأسرعت إليها إسراع النجم... فحين خيمت برسومها" (الحريري، 1978: 375).

فيه تصوير شعري ليوميّات السفر والمقام في أماكن محددة.

-ممارسات التعليم والمسابقة بين الصبيان: يصف المشهد الشيخ مع عشرة صبيان، مما يُصور جلسة تعليمية أو اختبارية، أشبه بمشهد دراسي حي. استخدام الألواح والكتابة والأشعار، والانتقال من واحد إلى آخر، يمثل طقوس التعلم التقليدي (الحريري، 1978: 375، 376).

المهارات اللسانية واللغوية:

تظهر تفصيلات دقيقة عن النطق بين السين والصاد، والضاد والظاء، وتمييز الكتابة ونطق الحروف، وهي قضايا يومية في تعليم اللغة. كما يذكر أدوات الكتابة مثل اللوح، القلم، والحبر مما يعكس البيئة التعليمية اليومية (الحريري، 1978: 377).

تنوع اللهجات والأساليب اللغوية: تظهر أبيات فيها لعب لغوي، أحيانًا شبيه بالهذيان، مثل: "فتنتني فجننتي تجني بتجن يفتن..." (الحريري، 1978: 377).

هذا البيت هو ذروة تجسيد "شعرية التفاصيل اليومية" في بعدها اللغوي. فالنص لا يكتفي بوصف موقف تعليمي عادي، بل يحوّله إلى لوحة فنية تعج بالحياة.

يتميز البيت بالجناس والتلاعب اللفظي المكثف ("فتنتني فجننتي تجني بتجن يفتن")، مما يحاكي الأخطاء اللغوية واللعب الكلامي التلقائي الذي يحدث في الفصول الدراسية الحقيقية. هذا "الهذيان" المُتقَن ليس عبثًا، بل هو محاكاة ذكية للّسان الحائر واللهجات المختلطة في بيئة متعددة الثقافات مثل حلب.

-الطرافة والتندر: يستخدم الشيخ أسلوبًا ظريفًا مع الصبيان، مثل: "يا بدير، يا نُويرة، يا قطرب، يا دغفل..." وهذه الأسماء والتعليقات تضفي روحًا فكاهية مألوفة (الحريري، 1978: 377).

بهذا الشكل، تعكس المقامة الحلبية غنى التفاصيل اليومية، مما يعزز من قيمتها الأدبية والإنسانية.

ثانيا: المقامات ذات الطابع التجاري والتجربة الإنسانية

المقامة الصنعانية

إنَّ "المقامة الصنعانية" من مقامات الحريري التي تتضمّن شعرية التفاصيل اليومية بوضوح، ومن النماذج التي تدل على شعرية التفاصيل اليومية

-حال الراوي في بداية المقامة

"فدخلتها خاوي الوفاض، بادي الإنفاض، لا أملك بلغة، ولا أجد في جرابي مضغة" (الحريري، 1978: 15).

فهذا تصوير دقيق لحال الفقر والجوع والتشرد، وهي تفاصيل يومية لكن الشاعرية تنبع من فصاحتها وبنائها المجازي.

-وصف التجوال في المدينة

"فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم، وأجول في حوماتها جولان الحائم" (الحريري، 1978: 15).

فهنا حركة الراوي في الطرق والأسواق تكشف عن صراع يومي مع الحاجة والضياع، وهو ملمح من تفاصيل الحياة المعيشة اليومية.

-مشهد الأكل والطعام في النهاية

"فوجدته مثافنًا لتلميذ على خبز سميد وجدَيٍ حنيذ"(الحريري، 1978: 19).

هنا لحظة طعام بسيطة جدًا، لكنها محمّلة بالدلالة: الكفاف، البساطة، وطقس الحياة اليومية المكرور الذي يُختم به المشهد السردي.
ففي هذه المقامة تحتوي على شعرية التفاصيل اليومية في:
وصف حال الفقر والضياع. التجوال في المدينة. مشهد الأكل البسيط في نهاية المقامة.

المقامة الحلوانية

وفي المقامة الحلوانية نجد
-البداية اليومية الحياتية:
"كلفتُ مذ ميطت عني التمائم، ونيطت بي العمائم" (الحريري، 1978: 21).
ان في هذه العبارة لحظة الانتقال من الطفولة إلى النضج، وهي مرحلة يومية يعيشها كل متعلم. الحارث بن همام يبدأ من واقع معاش يعبّر عن طموحه إلى طلب العلم، وهو طموح يومي في البيئة الثقافية العربية.
-الطواف بالمدن ولقاء الناس:
"فلما حللت حلوان، وقد بلوت الإخوان" (الحريري، 1978: 21).
دخول "حلوان" ليس حدثًا خارقًا، بل جزء من تفاصيل الرحلة اليومية في طلب العلم ومخالطة الناس. ثم تأتي المفارقة اليومية حين يلتقي أبا زيد في زي جديد، فهو لا يظهر في هيئة مألوفة بل متنكرًا، وهي صورة واقعية تشبه لقاءاتنا المفاجئة بأشخاص نعرفهم في غير سياقهم.
-الحياة الثقافية اليومية:
"فدخل ذو لحية كثة، وهيئة رثة، فسلم على الجلاس، وجلس في أخريات الناس"(الحريري، 1978: 24).

هنا مشهد مجلس القراءة والمسامرة الثقافية اليومية، حيث يتذاكر القوم الشعر، ويختبر بعضهم بعضًا في الفصاحة والبديهة، وهي مشاهد مألوفة في البيئة الأدبية العباسية.

فأننا نجد المقامة بحكمة مجربة تعكس معاناة الحياة وتقلّبها، وتندرج ضمن ما نسميه بـ"تفاصيل الوعي اليومي العميق"، وهي جزء من شعرية المقامة.

المقامة المكية

والمقامة المكية مليئة بشعرية التفاصيل اليومية من خلال تصويرها للطقوس الدينية، الأطعمة الشعبية، تعب الطريق، الفقر، والحاجة، إلى جانب الحنين للوطن. وهذا كله في قالب بلاغي ساخر شعري، يجعل اليومي أكثر إشراقًا وتأثيرًا. ومن مظاهر "شعرية التفاصيل اليومية" في المقامة المكية:

ـ الزمان والمكان اليوميان: تبدأ المقامة بحدث ديني معروف لدى الناس جميعًا: الحج، ثم الإشارة إلى ما يلي الحج من عادات يومية: قضاء التفث، واستباحة الطيب والرفت. هذه التفاصيل تنتمي لطقوس الحياة الإسلامية اليومية.

وأحوال الطقس والحركة الواقعية: قول الراوي: "استظهرتُ للضرورة بما يقي حر الظهيرة"، و"وقد حمي وطيس الحصباء، وأعشى الهجير عين الحرباء" (الحريري، 1978: 112). يدل على استحضار الواقع المناخي الحار في مكة، وهو ملمح محسوس من تفاصيل الحياة اليومية.

-وصف الحالة الاجتماعية: "إذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع" دخول الشيخ المتسول وابنه إلى المشهد وهم يسألون الطعام والسفر، مشهد يومي مألوف يعكس معاناة الفقر، والحاجة، والاغتراب، وكلها ملامح متكررة في الحياة اليومية العربية، خصوصًا في مواسم الحج.

والتفاصيل الدقيقة في الطعام: يقول الفتى:

أريـــــد مـــــنكم شـــــواءً وجردقًـــــا وعصـــــيدة

فـــــإن غـــــلا فرقـــــاقٌ بـــــه تـــــوارى الشـــــهيدة

أو لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريدة" (الحريري، 1978: 115، 116).

هذا المقطع فيه شعرية عالية ولكنها مؤسسة على حاجات بسيطة: الشواء، العصيدة، الخبز، الفتات – وهي أطعمة شعبية، يُطلب أقلّها عند العجز، في ترتيب درامي يومي ينقل معاناة الجوع ببراعة.

والختام بلحظة وجدانية واقعية: حين يسأل الحارث الشيخ عن داره، يُنشد: "سروج داري ولكن كيف السبيل إليها؟ وقد أناخ الأعادي بها وأخنوا عليها" (الحريري، 1978: 117).

هذه الصورة المؤثرة تمثل الحنين إلى الوطن، وهو إحساس إنساني عميق يشكّل جزءًا من اليوميات النفسية للمغترب أو المهاجر.

المقامة النجرانية

هذه المقامة من الأمثلة البارزة على "شعرية التفاصيل اليومية"، من خلال توظيف الحياة الاجتماعية، وأدوات الاستعمال اليومي، وجماليات اللغة في وصف المألوف. منها

وصف الحياة اليومية في نجران:

"فلمّا ألقيتُ الجران بنجران، واصطفيتُ بها الخلان والجيران، اتخذتُ أنديتها معتمري، وموسم فكاهي وسمري، فكنتُ أتعهّدها صباحَ مساء، وأظهر فيها على ما سرّ وساء" (الحريري، 1978: 337).

إنَّ هذه المقاطع تُجسّد العادات اليومية في المدينة (الحضور في الأندية، السمر، مخالطة الناس)، وهي من تفاصيل الحياة المدنية والاجتماعية اليومية التي تندرج في إطار الشعرية الواقعية.

وكذلك التفاعل الاجتماعي والحوار الجماعي:

وما جرى من تبادل الألغاز والمناظرة بينه وبين القوم، فيه تصوير لحالة جماعية ذات طابع ترفيهي فكري، تعكس طقسًا ثقافيًا شائعًا، يمثل الحياة الذهنية واللغوية لجماعة معينة.

وايضًا تفاصيل الاستخدام اليومي للأشياء:

في الألغاز وصف لأشياء مألوفة ويومية مثل:

المروحة، القلم، الميل، الدولاب، المزملة (الرحى)، وكلها أدوات تُستخدم في الحياة اليومية، وتُقدم في المقامة بأسلوب لغوي مكثف واستعاري، يُضفي على العادي بُعدًا جماليًا (الحريري، 1978: 337-345).

ثالثا: المقامات ذات الطابع الديني والثقافي

المقامة الدينارية

المقامة الدينارية مليئة بصور الحياة اليومية من فقر، وجوع، وطمع، وسخرية، وحيل معيشية. وهذه أبرز مظاهر "شعرية التفاصيل اليومية".

وصف الواقع المعيشي الصعب: "صفرت الراحة، وقرعت الساحة، وغار المنبع، ونبا المربع..." (الحريري، 1978:28).

تصوير بلاغي للحالة اليومية من الفقر والضيق: "استبطنا الجوى، وطوينا الأحشاء على الطوى، واكتحلنا السهاد..." (الحريري، 1978: 29).

مشاهد مألوفة من الجوع والسهر والهمّ، تُحاكي معاناة الناس اليومية.

وكذلك التعامل مع المال في الحياة اليومية:

أكـــرم بـــه أصـــفر راقـــت صـــفرته جـــواب آفـــاق ترامـــت ســـفرته (الحريري، 1978: 29).

وصف الدينار كأنه إنسان يتنقل ويسافر، فيه حياة ومكانة في تعاملات الناس: "كم أمر به استتبت إمرته" (الحريري، 1978: 30).

يوضّح كيف يُغيّر الدينار أوضاع الناس في تفاصيل حياتهم اليومية.

الحركات اليومية والمواقف الطريفة: "فوضعه في فيه، وقال: بارك اللهم فيه!" (الحريري، 1978: 30).

مشهد عفوي يعكس حالة الجوع والطمع والدعاء، وكلها مشاهد من حياة الناس.

"فأنشد مرتجلًا... تباً له من خادع مماذق..." (الحريري، 1978: 31).

ارتجال شعري يعكس تقلب المواقف اليومية تجاه المال: مدح ثم ذمّ، طمع ثم ندم.

وفكاهة الحياة اليومية:

تعارجـــتُ لا رغبـــة فـــي العـــرج ولكـــن لأقـــرع بـــاب الفـــرج! (الحريري، 1978: 32).

حيلة ذكية من أبي زيد فيها روح دعابة، مأخوذة من واقع المساكين الباحثين عن الرزق بالحيلة.

المقامة الدمياطية

في هذه المقامة، التفاصيل اليومية (السفر، الغسل، الجدال) تتحول من وقائع بسيطة إلى مكونات شعرية وسردية تُثري البناء الفني للمقامة وتُقرّب القارئ من عالمها المعيش، مما يخدم مفهوم "شعرية التفاصيل اليومية" بوصفها عنصراً مميزاً في مقامات الحريري.

-مشاهد السفر والتنقل: "فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق... وكنا مع ذلك نسير النجاء، ولا نرحل إلا كل هوجاء" (الحريري، 1978: 33).
تصوير دقيق لحالة القافلة، والمشقة في الترحال، ويُدخلنا في عالم المسافرين بما فيه من تعب وانسجام جماعي.
-الجدال الأخلاقي بين البذل والحذر: "أرعى الجار ولو جار... ولا أواخي من يلغي الأواخي" (الحريري، 1978: 34، 35).
فهذا الجدال ينبع من تجارب يومية مع الناس، وهو خلاصة لتجربة اجتماعية يومية تُصاغ شعريًا عبر الحوار.
- طلب أبي زيد الاغتسال: "إن بدني قد اتسخ، ودرني قد رسخ، أفتأذن لي في قصد قرية لأستحم؟" (الحريري، 1978: 38).
هنا تفصيل بسيط لكنه يومي جدًا، حيث يُشير إلى الحاجة للنظافة، ويعكس جانبًا واقعيًا من حياة الطريق، نادر في أدبٍ اعتاد على المجاز والتكثيف.

المقامة البصرية

المقامة البصرية تُعد نموذجًا غنيًا لعنصر "شعرية التفاصيل اليومية" من خلال لغتها التصويرية، ورصدها للحياة العامة، والتعبير عن الذات، وتجسيد المشهد الحضري والمعيشي اليومي. ويمكن تبيّن ذلك من عدة جوانب:
-تفصيل الحياة اليومية ومشهد المدينة:
حين يصف الجامع في البصرة: "وكان إذ ذاك مأهول المساند، مشفوه الموارد، يُجْتَى من رياضه أزاهير الكلام، ويُسمع في أرجائه صرير الأقلام" (الحريري، 1978: 412).
هذه العبارات تنقل صورة يومية حيّة لواقع الحياة العلمية والثقافية في المسجد، عبر وصف الحضور، والمجالس، والأصوات.

وكذلك وصف أحوال الناس وحركتهم:

في قوله: "إلى أن جلست تجاهه بحيث أمنت اشتباهه، فإذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه، ولا لبس يخفيه، فانسرى بمرآه همي، وارفضت كتيبة غمي" (الحريري، 1978: 412، 413).

وفي قوله: "وما ابتسم ثغر فجر، ولا بزغ نوره في برد ولا حر، إلا ولتأذينكم بالأسحار دوي كدوي الريح في البحار" (الحريري، 1978: 414).

يصور أجواء الفجر، وممارسات المؤذنين، وسلوك الناس في لحظات يومية مألوفة، بأسلوب شعري نابض.

وأيضًا استحضار مشاهد الطبيعة والبيئة الحضرية:

مثل: "به تلتقي الفلك والركاب، والحيتان والضباب، والحادي والملاح، والقانص والفلاح" (الحريري، 1978: 413). هذا السرد يدمج بين مشاهد البحر والبر والناس والطبيعة، ليصوغ مشهدًا بصريًا تفصيليًا غنيًا بالحياة اليومية.

وكذلك وصف الرحلات والتنقلات:

في قوله: "أنا الذي أنجد وأتهم، وأيمن وأشام، وأصحر وأبحر، وأدلج وأسحر" (الحريري، 1978: 415).

نجد وصفًا لحركة الإنسان في المكان والزمان، وكأنها يوميات رجل مسافر.

الخاتمة

إنَّ مقامات الحريري ليست مجرد متون أدبية تتكئ على الفصاحة والبلاغة، بل هي مرايا دقيقة تعكس الحياة اليومية في صورتها الأعمق والأصدق.

يتبيّن من خلال هذا البحث أنّ شعرية التفاصيل اليومية في مقامات الحريري تمثل أحد أهم المفاتيح الجمالية لفهم هذا الفن النثري الرفيع؛ إذ استطاع الحريري أن يحوّل المألوف والعابر من وقائع الحياة إلى بناء لغوي وسردي مفعم بالدلالة والرمز. فالتفاصيل اليومية -من الطعام واللباس والسوق والسفر، إلى مظاهر الفقر والحيلة والحنين- لم تكن عنده مجرد مشاهد وصفية تُكمل الصورة، بل كانت جوهر التجربة السردية التي تمنح المقامة طاقتها الإبداعية وتكثيفها الفني. لقد أعاد الحريري تشكيل الواقع اليومي عبر لغة فنية تتقاطع فيها البلاغة مع التخييل، ليجعل من المشهد الاجتماعي مادّة للتأمل والجمال في آن واحد.

كما أثبت التحليل أنّ هذه التفاصيل تسهم في بناء هوية المقامة الأسلوبية، فهي تربط النص ببيئته الثقافية والاجتماعية، وتُظهر ذكاء الكاتب في استثمار اللغة لتصوير حياة الناس، ونقد المجتمع بطرائق فنية غير مباشرة. ومن خلال المزج بين السرد والموقف والبيان، تجلّت شعرية اليومي بوصفها استراتيجية فنية تهدف إلى كشف عمق التجربة الإنسانية في أكثر مظاهرها بساطة.

وتؤكد نتائج البحث أنّ مقامات الحريري لم تكن مجرد استعراض للبلاغة، بل مشروع فني يرصد جماليات العيش اليومي في عصره، ويجعل من اللغة أداة لإعادة بناء العالم بعيون الأديب. ومن هنا يمكن القول إن الحريري

أسّس لشكل مبكر من الشعرية النثرية العربية التي تحتفي بالحياة في تفاصيلها، وتمنح العادي والمتداول بعدًا فنيًا خالدًا.

وعليه، فإن "شعرية التفاصيل اليومية" تظل ميدانًا خصبًا للدرس النقدي، يمكن أن يُستثمر مستقبلاً في مقاربة نصوص نثرية وشعرية أخرى من التراث العربي، للكشف عن مدى قدرة الأدب العربي على تحويل اليومي إلى أفق جمالي وإنساني متجدّد.

المصادر والمراجع

- ابن خلكان. وفيات الأعيان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، دون تاريخ.
- ابن عماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، ج6، 1986م.
- ابن منظور. لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، ج12، 1968م.
- الثعالبي. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، 1983م.
- الحريري. شرح مقامات الحريري، دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.
- الحموي، ياقوت. معجم الأدباء، تحقيق: الدكتور عمر إبراهيم الطباع، ط1، مؤسسة المعارف، بيروت، ج6، 1999م.
- الشريشي. شرح مقامات الحريري تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ج1، 1998م.
- ضيف، شوقي. المقامة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ج2، 1964م.

- ضيف، شوقي. عصر الدول والإمارات «الأندلس»، جامعة حلب، 1994م.
- فضل، صلاح. الشعرية والبلاغة، دراسات في أدب الشعر، 2001م.
- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتحقيق محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج14، 1987م.
- القيرواني، الحصري. زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ج1، 2001م.
- كوهين، جون. بنية اللغة الشعرية، ت: محمد البكري، بيروت: المؤسسة الجامعية، 1986م.
- مقامات الحريري، دار بيروت للطباعة والنشر، 1398هـ - 1978م.
- ياكبسون، رومان، اللغة والشعر، بيروت: دار توبقال، 1987م.